المحور الثاني: الثقافة والمجتمع

الفهرس

الدرس الأول: مفاهيم الثقافة والظاهرة الثقافية 1

تعريف 1
تطوّر مفهوم الثقافة 1
خصائص الثقافة 2
عناصر الثقافة 2
اتّجاهات تداخل الثقافات 2
العوامل التي تساهم في تنوّع الثقافات 3
العلاقة بين الثقافة والمجتمع 3
العلاقة بين الثقافة والطبيعة 4

الدرس الثاني: تنوّع الثقافة وصناعتها 6

الشخصيّة القاعديّة 6
الثقافة بين الفرد والمجتمع 7
تشكّل شخصيّة الفرد في المجتمع 7
التعدّد والتنوّع الثقافي 7
التثاقف (المثاقفة) والتفاعل الثقافي 8
أنواع التعامل مع التثاقف والهيمنة الثقافية 8

المحور الثاني: الثقافة والمجتمع

الدرس الأول: مفاهيم الثقافة والظاهرة الثقافيّة

تعريف

لتعريف الثقافة اتّجاهان:

- **الاتّجاه الأوّل:** يعتبر أنّ الثقافة تتكوّن من المنتجات العقليّة، من قيم ومعتقدات ومعايير وتفسيرات عقليّة ورموز وإيديولوجيّات...
- **الاتّجاه الثاني:** يتعلّق بالنمط الكلّي لحياة شعب ما، فيشير إلى العلاقات بين أفراده والتقنيّات المستخدمة والمهارات التي يتميّز بها هذا الشعب، بالإضافة إلى ما سبق من قيم ومعتقدات ومنتجات عقليّة.

وللثقافة تعريف شعبي غير علمي: حسب المعنى السّطحي للثقافة، فالمثقّف هو المتوسّع في العلم و المعرفة.

أمّا أبرز تعريف علمي للثقافة فهو تعريف تايلور (Tylor):

الثقافة هي ذلك الكلّ المركّب الذي يشمل العقيدة والمعرفة، والفنّ، والأخلاقيّات، والقانون، والعادات، والقدرات، التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع؛ وهو بذلك يشير إلى التعريف الذي يتّجه نحو النمط الكلّي.

أمّا التعريف العام للثقافة فيعتبر أنّها مجموعة العادات والتقاليد، والقيم، والأخلاق، واللغة، واللباس، والمأكولات... التي تعتبر معايير ورموز تتميّز بها حياة شعب ما.

تطوّر مفهوم الثقافة

تطوّر مفهوم الثقافة عبر القرون متأثّرًا بالأفكار السائدة في كل قرن:

- القرون الوسطى: الثقافة = الطقوس الدينيّة.
- القرن السابع عشر: الثقافة = الفلاحة.
- النصف الأوّل من القرن الثامن عشر: الثقافة = التكوين المعرفي والتقدّم الذهني للفرد.
- النصف الثاني من القرن الثامن عشر: الثقافة = التقدّم الفكري للأفراد والإنسانيّة بشكل عام.

خصائص الثقافة

- **متغيّرة عبر الزمان والمكان:** متأثّرة بفلسفة الجماعة وأسلوب حياة الأفراد.
- **مكتسبة من التنشئة الاجتماعيّة:** فهي أنساق السلوك الإنساني التي تنتقل من جيل إلى جيل.
- **إنسانيّة:** تخصّ الإنسان فقط وتعتبر جزءًا من مظاهر الإنسانيّة، فيتميّز بها الإنسان عن باقي المخلوقات التي ليس لها ثقافة.
- **انتقاليّة:** تنتقل من الفريق الأقوى المسيطر إلى الفريق الأضعف المسَيطَر عليه.
- **نتاج مجتمعي:** تنتج عن مجموعة الأفراد الذين يشكّلون المجتمع، ولا تنتج عن فرد واحد.
- **متكاملة:** تشمل الثقافة عناصر مادّية وغير مادّية، عقليّة وسلوكيّة... وتضمّ كل ما يتعلّق بالمعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والسلوكيّات.
- **متغيّرة:** تتعدّد الثقافات بتعدّد المجتمعات الإنسانيّة.
- **تراكميّة:** الثقافات تقتبس من بعضها البعض، وتتداخل نتيجة تفاعل الجماعات، فتتراكم وينتج عنها ثقافات جديدة.
- **خصوصيّة:** على الرغم من تشابه بعض الثقافات، إلّا أنّ هناك خصوصيّة تتميّز بها كلّ ثقافة عن غيرها من الثقافات؛ كما لها قوانينها الخاصّة التي تتحكّم بانتشارها وانحسارها.

عناصر الثقافة

عناصر الثقافة مستمدّة من تعريفها، وهي:

- العناصر المادّية: وهي كل العناصر المحسوسة مثل الأواني، اللباس، المنازل،...
- العناصر الوظيفيّة أو السلوكيّة: وهي العناصر غير المحسوسة والتي تتعلّق بالنواحي الفكريّة والنفسيّة، مثل المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد...

اتّجاهات تداخل الثقافات

هناك ثلاثة آراء في موضوع تداخل الثقافات:

- **الرأي الأوّل**: يرى أنّ الثقافات تتأثّر ببعضها من خلال العوامل التاريخيّة والجغرافيّة، مثلًا: دخلت اللغة الفرنسيّة في ثقافة دولة تونس بسبب احتلالها تاريخيًّا من قِبل فرنسا.

- **الرأي الثاني:** يرى أنّ اللغة كجزء من الثقافة هي العامل الأول ليعبّر الفرد عن نفسه، ويتواصل مع الآخرين، مثلاً: اللغة العربيّة هي عنصر أساسي في الثقافة اللبنانيّة، وبها يكتسب الفرد ثقافته (التنشئة الإجتماعيّة)، ويُعبّر عن شخصيّته الثقافيّة، ويتواصل مع الآخرين.
- **الرأي الثالث:** يرى أنّ وسائل التواصل الحديثة هي التي تساهم في تطوّر الثقافات وتتأثر ببعضها البعض، فيركّز على الشخصيّة القاعديّة.

العوامل التي تساهم في تنوّع الثقافات

تتعدّد العوامل التي تؤدّي إلى تنوّع الثقافات واختلاف بعضها عن بعض، منها:

- الحيّز الجغرافي: أي المكان الذي تنشأ فيه العلاقات الاجتماعيّة، أي الذي تعيش فيه الجماعة، ويؤثّر على ذلك المناخ والطقس، الضاريس...
- البيئة الاجتماعيّة أو الحيّز الثقافي: أي القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد...
- العلاقات الاجتماعيّة: أي أنماط العلاقات الشخصيّة وما يتعلّق بها من أنواع نفسيّة الأفراد وبنياتهم الشخصيّة...

مثال على البيئة الاجتماعيّة (الحيّز الثقافي) والعلاقات الاجتماعيّة والحيّز الجغرافي:

كيف يمكن ملاحظة التشابه والاختلاف بين الثقافات على مستوى البيئة الاجتماعيّة (الحيّز الثقافي) والعلاقات الاجتماعيّة والحيّز الجغرافي؟

هناك دول عديدة تُشكِّل العالم العربي، وهي تختلف أو تتشابه تبعًا للبيئة الاجتماعيّة (الحيّز الثقافي) والعلاقات الاجتماعيّة والحيّز الجغرافي. فهي تتشارك مثلًا في دين الإسلام (حيز ثقافي)، ولكن لبنان يختلف عن السعوديّة في طبيعة العلاقات بين الجنسين (علاقات اجتماعيّة)، ويتشابه مع الساحل السوري في مجموعة من أطباق الطعام، كالسّمك مثلًا، كدولتين مجاورتين للبحر (حيّز جغرافي).

العلاقة بين الثقافة والمجتمع

قبل تحديد عناصر العلاقة بين الثقافة والمجتمع، لا بدّ من أن نذكر أنّ المجتمع يتألّف من جماعات تنتظم في فئات اجتماعيّة ضمن علاقات وأنظمة متعارف عليها بين أفرادها؛ على المدى الطويل، ينتج عن هذه العلاقات الثقافة. فالعلاقة بينهما:

- **جدليّة:** فلا بدّ من وجود ثقافة في المجتمع، وكل مجتمع عنده ثقافة.
- **متطوّرة**: المجتمع ينتج ثقافته الخاصّة، وتتطوّر هذه الثقافة مع الأيّام، فتؤدّي إلى تطوّر المجتمع.

- **دائمة:** الثقافة ترسم طريق حياة ونمط حياة المجتمع وأفراده.
- **مميّزة:** الثقافة تميّز المجتمعات عن بعضها، وبالتالي الجماعات والأفراد.
- **تساعد على استمرار الحياة:** الثقافة تمدّ المجتمع باللوازم والأفكار اللازمة لاستمرار الحياة فيه.

العلاقة بين الثقافة والطبيعة

الثقافات بشكل عام مصدرها واحد، عقل الإنسان، ولكنّها تتعدّد وتختلف نتيجة العوامل المتعدّدة وتأقلم العقل البشري مع البيئات المختلفة، ومن هنا يظهر اختلاف علاقة الإنسان -الذي يُنتج الثقافة- عن باقي الكائنات مع الطبيعة:

- تجمع بين الإنسان والحيوان الفطرة والغريزة، ولكن الإنسان يتميّز بامتلاكه للعقل.
- يكتسب الإنسان ثقافة الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فثقافته ليست نتيجة غريزته، إنّما نتاج عقله وحاجاته الاجتماعيّة.
- يتأقلم الإنسان مع البيئة والمحيط الذي يعيش فيه، فيبتكر الأدوات والوسائل التي يحتاجها ليتكيّف مع المكان الذي يعيش فيه، فتنتج ثقافة المجتمع.

وقد أكّد ليفي ستراوس أنّ امتلاك الإنسان للغة كوسيلة تواصل، هي التي تجعله يتميّز عن باقي الكائنات، فالإنسان بشكل عام هو جزء من الطبيعة، ولكنّ ثقافته هي التي تجعله يتحكّم بها ويحوّلها لمصالحه، فتولد الثقافة.

وقدّم ليفي ستراوس مثال "المثلث الطبخي" لتوضيح فكرته عن كيفيّة تحوّل الإنسان من الطبيعة إلى الثقافة:

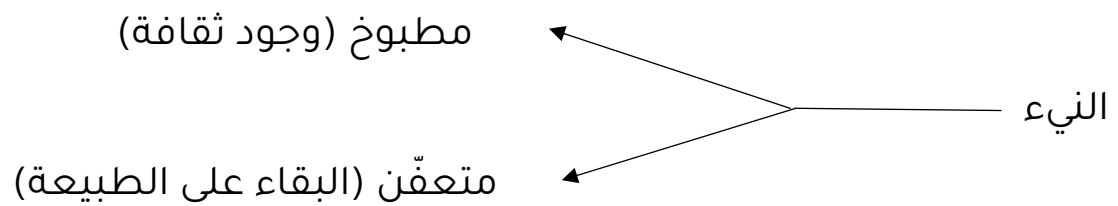

توضيح الرسم: إذا تتدخّل العقل البشري، تتحوّل الطبيعة إلى ثقافة (مثال الخضار النيئة إذا تمّ طهيها تتحوّل إلى طعام قابل للأكل) أمّا إذا تُركت الطبيعة دون تدخّل العقل البشري فيتدهور وضعها (مثال الخضار النيئة إذا تُركت تتعفّن).

فالمولود الجديد يولد على الطبيعة، ولكن بسبب التنشئة الاجتماعيّة يكتسب ثقافة معيّنة، وهذا هو المعطى الثقافي.

معطى طبيعي + تدخّل عقل الإنسان = معطى ثقافي يختلف من مجتمع لآخر تبعًا لاختلاف الثقافات.

الشرح: إن تدخّل الإنسان في المعطى الطبيعي (خشب، نفط، فاكهة، قمح، قطن، خيزران...) هو ما يحوّله إلى معطى ثقافي يميّز مجتمعًا عن آخر.

فبتدخّل عقل الإنسان: - الخشب تحوّل إلى ورق وألواح...

- النفط تحوّل إلى وقود وبلاستيك...
- الفاكهة تحوّلت إلى مربّيات وعصائر...
- القمح تحوّل إلى خبز وحلويّات ومعكرونة...
- القطن تحوّل إلى ملابس وضمّادات طبّيّة...
- الخيزران تحوّل إلى مقاعد وطاولات...

الدرس الثاني: تنوّع الثقافة وصناعتها

بشكل عام، تهدف الثقافة إلى دمج الفرد مع مجتمعه، لتلبية الحاجات المشتركة بين البشر.

والثقافة هي العنصر المكتسب من السلوك البشري، وتتنوّع مصادرها، فنرى أنّ الثقافات المتنوّعة تؤدّي إلى:

- اختلاف طرق إشباع الحاجات عند الجماعات المتنوّعة، (مثال طريقة اللباس، أو طريقة النوم، أو طريقة إحياء الأفراح والمآتم...)
- اختلاف في طرق إشباع الجماعات من حاجاتها المشتركة، باختلاف الزمان، والمكان، والموارد المتوفّرة، والوضع الاقتصادي، والبيئة الطبيعيّة...
- انتقال الثقافة من جيل إلى جيل بالتوارث والاكتساب ينتج عنه دمج الفرد مع مجتمعه.

الشخصيّة القاعديّة

هي نموذج الشخصيّة التي تمثّل الثقافة الخاصّة المشتركة بين أفراد مجتمع معيّن، والتي يتميّزون بها عن الثقافات القريبة من ثقافتهم: فداخل كل مجتمع شخصيّة قاعدية (أساسيّة) تتكوّن من التفاعل بين الثقافة والفرد والمجتمع. هذه الشخصيّة تعبِّر عن أعضاء المجتمع الذين يتشاركون مجموعة من القيم، والأخلاق، والأفكار، وقواعد السلوك... وهي ترسّب ثقافي، وتمثّل النّظم الاجتماعيّة، وتحافظ على تماسك المجتمع، وبواسطتها تنتقل العناصر الثقافيّة من جيل لآخر.

الشرح: الشخصيّة القاعدية ليست شخصًا ملموسًا موجودًا في المجتمع، ولكنّها «مثال أعلى» يعبّر عن ثقافة المجتمع. مثلًا: الشخصيّة القاعديّة لفتاة من مدينة طرابلس تتمتّع بصفات معيّنة، كاحترام الوالدين، مساعدة المحتاج، الحياء، حسن الضّيافة، الالتزام بتعاليم دينيّة معيّنة... هذه هي الشخصيّة القاعدية التي تتمّ تربية الفتيات في طرابلس على أساسها، وهي تنتقل من جيل إلى آخر، وتحافظ على تماسك المجتمع لأنّها تحميه من القيم الغريبة عنه (القيم الغربيّة، إهمال الوالدين، العنف، الإلحاد...). فالشخصيّة القاعديّة:

- خاصّة بجماعة معيّنة يتشاركون ذات القيم والمشاعر والعادات والتقاليد...
- تنقل قيم وسلوكات الأفراد الأساسيّة من جيل إلى آخر.
- ينتج عنها ارتباط أفراد المجتمع.

الثقافة بين الفرد والمجتمع

- تتشكّل الشخصيّة القاعدية من التفاعل بين الفرد والثقافة والمجتمع.
- لكلّ مجتمع ثقافته الخاصّة التي تطال مختلف المناحي (العلاقات الاجتماعيّة، الدين، السياسة، التربية...).
- ولكن ضمن هذه الثقافة المشتركة، تميل كل جماعة إلى تشكيل ثقافة خاصّة بها.
- إن الثقافات داخل المجتمع الواحد تختلف نظرًا لاختلاف الأفراد والجماعات الذين ينتمون إليها. مثلًا: ثقافة أهل الرّيف في لبنان تختلف عن ثقافة أهل المدينة، وجميعهم يحملون الثقافة اللبنانيّة.

نستنتج إذن أن هناك ثقافة عامّة مشتركة وثقافات فرعيّة خاصّة بكل جماعة ضمن هذه الثقافة العامّة. مثلاً: اللغة العربيّة هي من عناصر الثقافة العامّة للبنان، ولكن اللكنة هي من عناصر الثقافة الفرعيّة لكل منطقة.

تشكّل شخصيّة الفرد في المجتمع

تتشكّل شخصيّة الفرد في المجتمع متأثّرة بـ:

- محيطه الاجتماعي الضيّق: الأسرة في المنزل - العائلة - الحي.
- مجتمعه الواسع: لغة البلد الذي يعيش فيه - المدينة - الجامعة -الحزب الذي ينتمي إليه - النقابة.
- الانفتاح على الثقافات الأخرى: وسائل الإعلام - الإنترنت - العولمة.
- شخصيّته الخاصة: النفسيّة - المزاج - الأهواء.

التعدّد والتنوّع الثقافي

كما تختلف الثقافة الخاصّة عن الثقافة العامة الشبيهة بها، كذلك نجد داخل المجتمع الواحد ثقافات متنوّعة تنتج عن اختلاف محيط الأفراد وظروفهم الشخصيّة، على الرغم من أن تركيبة المجتمع تكون واحدة؛ مثال في مدينة طرابلس، نجد الأفراد يتشاركون الثقافة اللبنانيّة من لغة وأنواع طعام... ولكن تختلف الثقافة الفرديّة وفق الواقع الذي يعيشه كل فرد، فنجد صيّادي الأسماك يعيشون بطريقة مختلفة عن التجّار أو الصناعيّين...

التثاقف (المثاقفة) والتفاعل الثقافي

التثاقف هو العمليّة التي يكتسب بها الفرد العناصر الثقافيّة (قيم - سلوك - عادات...) من مجتمع آخر متجانس ثقافيًّا مع مجتمعه (مثال دولة عربيّة إسلاميّة) أو مغايرة لثقافة مجتمعه (مثال دولة أوروبيّة)؛ وتتأثّر المجتمعات بحسب درجة انفتاحها على المجتمعات الباقية بوسائل الإعلام والإنترنت التي تلعب دورًا هامًّا في عمليّة التثاقف.

أمّا **التفاعل الثقافي** فهو عمليّة تأثّر الثقافات المختلفة داخل المجتمع الواحد، كانتقال الأفراد من طبقة اجتماعيّة إلى أخرى.

وقد تناول الماركسيّون التفاعل الثقافي على أنّه صراع ثقافي، فكل طبقة اجتماعيّة تعمل على السيطرة على الطبقات الأخرى، فتفرض عليها ثقافتها الخاصّة.

أمّا علماء الاجتماع فيعتبرون أنّ التفاعل الثقافي ما هو إلا صراع تكاملي بين الثقافات المختلفة الفرعيّة داخل المجتمع الواحد، فالثقافة الواحدة داخل المجتمع ما هي إلا جزء منها، ومجموع الثقافات الفرعيّة تشكّل الثقافة العامّة وتعمل على تطويرها.

أنواع التعامل مع التثاقف والهيمنة الثقافية

الانخراط: ينصاع الفرد للثقافة الأخرى الغريبة ويتبنّاها، مثلًا: التحدّث باللغة الأجنبيّة بدل العربية.

الانتقاء: يختار الفرد العناصر المناسبة من الثقافة الأخرى الغريبة، مثلاً: متابعة البرامج العلميّة الأجنبيّة.

الرفض: يتمسّك الفرد بثقافته ويرفض أي ثقافة أخرى غريبة، مثلاً: رفض استخدام الهاتف الذكي لارتباطه بثقافة الغرب.